

مجلة العلوم القانونية والاجتماعية

Journal of legal and social studies

Issn: 2507-7333

Eissn: 2676-1742

تحوُّلات الهوية وإعادة بنائها في المجتمع السيبراني: الأبعاد السببية والآثار الاجتماعية

**Identity Transformations and Reconstruction in Cyberspace Society:
Causal Dimensions and Social Implications**

بن سكيم بسمة*

جامعة زيان عاشور الجلقة ، (الجزائر)، besma.benskim@univ-djelfa.dz

تاريخ النشر: 2026/09/01

تاريخ القبول: 2026/07/01

تاريخ ارسال المقال: 2026/06/06

*المؤلف المرسل

الملخص:

تستكشف هذه الدراسة التحولات البنيوية لمفهوم الهوية في السياق الرقمي المعاصر الناتجة عن تفاعل الفضاءات السيبرانية الموازية مع الواقع المحلي. فمن خلال أدوات العولمة المتسارعة (الاتصالات، المعلوماتية، الإعلام الرقمي)، تشكلت بيئة شبكية لاختطية عابرة للحدود، تمتاز باستقلاليته النسبية عن الأطر التقليدية القانونية والسياسية والاجتماعية، وخضوعها لسياقات زمكانية وجغرافية جديدة. أدى تفاعل الأفراد مع هذه الفضاءات - مدفوعاً بدوافع نفسية ورغبة في التحرر من تعقيدات العلاقات الاجتماعية والقيود السلطوية - إلى استغلال الديناميكية غير الثابتة للهوية، مما أسفر عن إعادة تشكيل الهويات التقليدية وصوغ هويات سيبرانية جديدة. تتميز هذه الهويات بخصائص محددة وتتفاعل (صراعاً أو تكاملاً) مع الهويات القائمة، مصحوبة بتناقضات بنيوية على المستويات الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

تهدف الدراسة إلى تقديم مقارنة تحليلية نقدية لفهم هذه التحولات واستكشاف آفاق بحثية في هذا الحقل المعرفي الحيوي.

الكلمات المفتاحية: الهوية؛ المجتمع السيبراني؛ الهوية الافتراضية؛ الآثار الاجتماعية.

Abstract :

This study examines the structural transformations of the concept of identity within the contemporary digital landscape, arising from the interaction between parallel cyberspaces and local reality. Accelerated globalization mechanisms encompassing communications, information technology, and digital media have engendered a transnational, non-linear networked environment. This environment is characterized by relative autonomy from traditional legal, political, and social frameworks and is governed by novel spatiotemporal and geographical contexts.

Driven by psychological motivations and a desire to transcend the complexities of social relations and authoritarian constraints, individuals' engagement with these spaces exploits the fluid dynamics of identity. Consequently, this has precipitated the reconfiguration of traditional identities and the formulation of new cyber-identities. These emergent identities exhibit distinct characteristics and interact dialectically through conflict or integration with established identities. Such interactions are accompanied by structural contradictions across cultural, social, political, and economic dimensions.

The study aims to advance a critical analytical framework for comprehending these transformations and to explore prospective research trajectories within this vital field of knowledge.

Keywords: Identity ;Cyber Society ; Virtual Identity; Social Impacts.

مقدمة:

تشكّل الهوية إحدى القضايا الإنسانية المركزية التي حظيت باهتمام بالغ عبر العصور، لا بوصفها مبحثاً فلسفياً أو سوسولوجياً فحسب، بل كإشكالية وجودية تُلامس جوهر الفرد والجماعة في سياقات متحوّلة. وفي العصر الراهن، برزت الهوية كموضوع حيوي في الدراسات السياسية والاجتماعية، متجاوزةً النطاق المحلي إلى آفاق كونية، وذلك نتيجةً للتحوّلات الجذرية التي يشهدها العالم تحت وطأة العولمة بمختلف تجلياتها: التكنولوجية، والاقتصادية، والثقافية. فالتسارع غير المسبوق في التطورات العلمية، ولا سيما في مجالات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، أعاد تشكيل البنى الاجتماعية والهوياتية، مُفككاً الحدود التقليدية بين الزمان والمكان، ومُضعفاً السياقات الهوياتية الثابتة التي ارتكزت عليها المجتمعات لعقود.

في هذا الإطار لم تعد الهوية تُحتزل في إطار الانتماءات الجغرافية أو الثقافية الضيقة، بل أضحت كياناً ديناميكياً يتشكل عبر تفاعلات معقدة بين عوامل داخلية (كالبُنى النفسية للفرد وبيئته الاجتماعية والسياسية) وخارجية (كالتأثيرات السيبرانية العابرة للقارات). وقد أدى الانزياح المتزايد نحو العالم الافتراضي، خاصةً مع انتشار الشبكات التواصلية الرقمية، إلى تحوّل جوهري في طبيعة الهوية، حيث أصبح التواجد في الفضاء السيبراني سمةً مميزةً لعصر ما بعد الحداثة، يتجاوز في كثير من الأحيان التواجد المادي في المجتمعات التقليدية. هذا التحول لم يقتصر على إعادة تعريف الهوية فحسب، بل أحدث أزمةً وجوديةً في انتقالها من نمط المجتمعات الأحادية المغلقة، ذات التفاعلات المحلية المحدودة، إلى مجتمعاتٍ متعددة الثقافات، تُبنى هوياتها في فضاءاتٍ رقميةٍ مفتوحة، تتداخل فيها المرجعيات وتتعدد فيها الانتماءات خارج أيّ قيود مادية أو ميتافيزيقية.

في ظل هذه الديناميات برزت الحاجة إلى صياغة هويات جديدة تستجيب لمتطلبات العصر السيبراني، وهوياتٌ تُظهر سماتٍ مختلفةً عن الهويات التقليدية، وإن ظلت مرتبطةً بها بعلاقة جدلية تتأرجح بين التكامل والتناقض. ومن هنا تسعى هذه الدراسة إلى تحليل العوامل الرئيسية التي دفعت بالهوية إلى إعادة تشكيل ذاتها، وكيفية تجلّي هذه التحوّلات في ظهور هوياتٍ سيبرانيةٍ ذات خصائص مميزة، تُعيد تعريف مفاهيم الانتماء، والذات، والجماعة في عصرٍ تُهيمن عليه التكنولوجيا الرقمية وتُسيطر عليه سيولة الهويات.

وتُعد الهوية واحدة من أبرز المتغيرات المرتبطة بالمجتمعات الإنسانية، سواء في أبعادها التقليدية أو كظاهرة حديثة متجددة ذات طابع عالمي. وفي السنوات الأخيرة، برز حقل السوسولوجيا الرقمية كمجال بحثي ناشئ، لفت انتباه المؤسسات الأكاديمية والسياسية والاجتماعية، خاصةً مع تحول الإنترنت إلى وسيلة الاتصال الأساسية على المستوى العالمي. وقد أدى هذا التحول إلى نشوء حقل بحثي جديد يُعنى بدراسة الهوية وشرعيتها وإعادة تشكيلها في العالم السيبراني مما يطرح تساؤلات حول خصوصية الهوية الرقمية للإنسان المعاصر وعلاقتها بالهوية التقليدية.

يتمحور الإشكال الرئيسي للدراسة حول السؤال التالي:

ما الأسباب التي أدت إلى إعادة صياغة الهوية في المجتمعات السيبرانية وما الآثار المترتبة على ذلك في ظل المنظومة القيمية الجديدة والسياسات الثقافية المختلف والمتعدد الذي يفرضه العالم الرقمي؟ إلى جانب ذلك تطرح أسئلة فرعية

تتعلق بتحديد مفهوم الهوية في بعديها التقليدي والسيرياني؟ طبيعة المجتمع السيرياني وآليات تشكيل الهويات ضمنه؟ مدى ارتباط الهوية الرقمية بالهوية التقليدية والتداعيات الاجتماعية والثقافية الناتجة عن هذا التفاعل؟

أولاً: التأصيل المفاهيمي للدراسة:

يعد تحديد المفاهيم وتعريفها من الضروريات الأساسية في العمل البحثي إذ يُسهم في تكوين البنية الفكرية للدراسة، ويسهل الفهم الشامل للأفكار والمضامين المرتبطة بموضوع البحث. كما تُشكّل هذه المفاهيم حلقة الوصل بين الإطار النظري والتطبيق الميداني، مما يُساعد في تحليل الظواهر وتفسيرها. انطلاقاً من هذا المبدأ، سنتناول المفاهيم التالية:

1- الهوية:

تُمثّل الهوية قضيةً قديمةً متجددةً، مركبةً وديناميكيةً، تحمل في طياتها أبعاداً متشابكةً من القيم والانتماءات، مما يجعلها موضوعاً إشكالياً يصعب الاتفاق على تعريف موحد له. وقد عبّر أليكس ميشيلي Muchielli.A عن هذا التعقيد بقوله: مفهوم الهوية يتضمن درجة عالية من الصعوبة والتعقيد، نظراً لتنوع دلالاته الاصطلاحية وتعدد أبعاده¹.

ويعود الفضل في انتشار مصطلح "الهوية" إلى عالم النفس الأمريكي إريك إريكسون Erikson.E الذي عرّفها بأنها: مفهوم واسع الانتشار لكنه غامض، يشمل الاسم والمكانة الاجتماعية، كما يتضمن إحساساً ذاتياً بالاستمرارية الوجودية وتكامل الخبرات. أما الهوية الجماعية، فتُضيف إلى ذلك عناصر موضوعية وذاتية، فردية وجماعية. وبالتالي، فإن الإحساس بالهوية هو إحساس بالذات والاستمرارية، ويتجلى في أربعة جوانب: الثقة بالنفس، ثبات الخصائص الفردية، تكامل الأنا، وتبني قيم الجماعة وهويتها².

في حين يُعرّفها معجم أكسفورد Oxford بأنها: التشابه والتماثل مع الآخر وفي الوقت نفسه الاختلاف عنه³.

أما تشارلز تايلر (Taylor.C) فيرى أن الهوية تعبر عن: الشعور بالرابطة والهدف المشترك حيث يشعر الفرد بانتمائه إلى جماعة معينة تربطه بهم قيم أو أهداف مشتركة⁴.

بينما يرى صموئيل هنتنغتون Hintnngton.S أن الهوية: هي إحساس الفرد أو الجماعة بالذات، الناتج عن الوعي بالخصائص المميزة التي تُشكّل كينونته وتُفرّقه عن الآخرين⁵.

1-1 الهوية: مقارنة سوسولوجية في تشكّل الذات والانتماء:

تُمثّل الهوية تعبيراً عن وعي الإنسان وإدراكه لذاته، وانتمائه إلى جماعة بشرية ضمن إطار الانتماء الإنساني الشامل. فالهوية تُجسّد معرفة الفرد بمساره وطموحاته سواءً على المستوى الشخصي أو الجماعي، كما تُحدّد موقعه ضمن خريطة العلاقات والتناقضات والصراعات الاجتماعية⁶. وهي بذلك تشمل ثقافة الفرد ورؤيته للحياة والكون، انطلاقاً من منظومة قيمية تتألف من العادات والتقاليد والمبادئ والسلوكيات الفردية والجماعية، التي تُصبح بمثابة محددات ذاتية للفرد وأطر مرجعية للآخرين في الوقت ذاته.

لا يمكن فهم الهوية بمعزل عن العلاقة مع الآخر إذ تؤكد الدراسات السوسولوجيا أن الهوية تتشكّل عبر التفاعل مع المحيط الاجتماعي. فكما يوضح عالم الاجتماع الفرنسي آلان تورين Alain Touraine فإن الهوية "لا تُبنى إلا بالاعتماد على العلاقة مع الآخر"⁷. هذا الرأي يتوافق مع المبدأ الأنثروبولوجي القائل بأن علاقة الذات بالذات مشروطة بعلاقتها مع الآخر، مما يعني أن الاتصال الاجتماعي هو العامل الحاسم في تشكيل الهوية. يرتبط تحديد الهوية بوظيفتها التعريفية والتمييزية سواءً على مستوى الفرد أو الجماعة حيث تعتمد على شروط حيوية مثل الحاجات والمصالح والأهداف، فضلاً عن مواجهة التهديدات والمخاطر والصراعات. كما ترتبط الهوية بمفاهيم سياسية واجتماعية كالرعية والمواطنة، مما يعكس أبعادها القانونية والمجتمعية⁸.

1-2 الصورتان الأساسيتان للهوية في السوسولوجيا:

في سياق دراسة الأفراد والجماعات تتشكّل الهوية بالاعتماد على صورتين رئيسيتين:

- **صورة الآخر الداخلي:** الذي يمثل المشترك الثقافي والاجتماعي وتكمن وظيفة الهوية هنا في إثبات التشابه معه بناءً على القواسم المشتركة.
- **صورة الآخر الخارجي:** الذي يُجسّد الاختلاف وتعمل الهوية هنا على إبراز التمايز⁹.
وبذلك، تُصبح الهوية نتاجاً للتفاعل بين الذات والآخر، حيث يلعب التأثير المتبادل دوراً محورياً في صياغتها، مع ارتباطها بمؤشرات زمنية ومكانية ديناميكية.
وقد قدم صامويل هنتنغتون رؤية أساسية حول طبيعة الهوية يمكن إجمالها في النقاط التالية¹⁰:
- **تعددية الهوية ومرونتها:** يتمتع الأفراد والجماعات بهويات متعددة وقابلة لإعادة التعريف، حيث يمتلك الفرد القدرة على التبديل بين هوياته المختلفة، بينما تتميز هوية الجماعة بثبات نسبي وأقل مرونة في التغيير. كما تُعتبر الهويات مركبة لأنها تتشكل في إطار تفاعل بين الإكراه والاختيار، مما يجعلها "ذوات متخيلة" تعكس ما نعتقد أننا عليه أو ما نطمح إلى أن نكونه. كما يمكن للأفراد إما أن يرثوا هوياتهم الإثنية أو يعيدوا تشكيلها عبر الرفض أو التعديل.
- **ديناميكية الهوية وتغيرها:** تمتلك الهويات أبعاداً متعددة (وراثية، محلية، سياسية، اجتماعية، ثقافية، وطنية) تتغير أهميتها بتغير الظروف والأهداف. وقد تتعارض هذه الأبعاد أو تتداخل، مما يعكس طبيعتها المركبة. ويؤكد هنتنغتون على حقيقتين أساسيتين: أن الإنسان كائن متعدد الهويات ويُفضل هوية على أخرى بشكل ديناميكي. ثانياً الهوية ذات بنية مركبة وتحتوي على عناصر مشتركة ومتغيرة¹¹.
رغم ثبات بعض عناصر الهوية كالدين واللغة، إلا أن طبيعتها متعددة الأبعاد تجعلها عرضة للتغيير نتيجة: تعدد الانتماءات الفردية والجماعية، التفاعل المستمر مع الثقافات الأخرى مما يؤدي إلى تطور مصادر الهوية بحذف أو إضافة عناصر جديدة، هذه العملية تدريجية وتراكمية "الهوية لا تُعطى مرة واحدة وإلى الأبد، بل تتشكل وتتحول باستمرار"¹².

1-3 التحول الهوياتي في الفكر الاجتماعي:

يرى أنطوني غيدنز أن الهوية مشروع لا ينتهي حيث يعيد الأفراد تشكيل هوياتهم وفق السياقات الاجتماعية، بما في ذلك المجتمع السيبراني.

تطرح المقاربات النظرية السوسيولوجية مفاهيم مثل: التحول الهوياتي لـ شتراوس Strauss.C ، التناوب الهوياتي لـ برجر ولوكمان، Luckman.T Berger.P ، مما يطرح إشكالية التحول في الهوية: هل كل مكونات الهوية قابلة للتحول؟ خاصة الثوابت كالدين واللغة؟ فبرغم من ظهور بعض العناصر الثابتة إلا أنها تخضع لتغيير في الفهم والتعبير دون المساس بالأصول، حيث تعكس الهوية سياقات ثقافية واجتماعية متغيرة مثل: استخدام الإيموجي كلغة معاصرة.

يمكن الاستدلال مما سبق على أن الهوية تُعدّ مفهوماً ديناميكياً غير ثابت، تخضع لتحوّلات مستمرة تبعاً لتغيّر المتغيرات البيئية والمجتمعية المحيطة، حيث تتشكّل في إطار تفاعل جدلي بين مؤثرات الحداثة الوافدة وقيود الموروث التقليدي.

2- المجتمع السيبراني*: المفهوم والخصائص:

يشير مصطلح المجتمع السيبراني إلى الفضاء الافتراضي الذي يتشكل عبر التفاعلات الرقمية، ويُعرف بعدة تسميات، منها: الفضاء السيبراني Cyber Space، الفضاء الافتراضي Virtual Space ، المجتمع الرقمي Digital Society.

برز هذا المفهوم مع تطور شبكات الحاسوب والإنترنت حيث أصبحت المجتمعات الافتراضية واقعاً ملموساً يعكس التحوّلات الاجتماعية والسياسية في العصر الرقمي.

تتميز هذه المجتمعات بقدرتها على خلق أنماط جديدة من التضامن الاجتماعي حيث تُعيد تشكيل المفاهيم التقليدية للانتماء والهوية. على سبيل المثال، قد تنشأ روابط اجتماعية قوية بين أعضاء منتدى علمي أو مجموعة دعم نفسي عبر الإنترنت، على الرغم من بعدهم الجغرافي واختلاف خلفياتهم الثقافية. كما تُظهر هذه المجتمعات خصائص الديناميكيات الجماعية، مثل تشكيل المعايير الاجتماعية، وآليات الضبط غير الرسمي، وحتى الصراعات الداخلية مما يعكس تعقيد التفاعلات البشرية في البيئات الرقمية.

ويتكامل البعد التقني مع الاجتماعي في تشكيل المجتمعات السيبرانية حيث توفر التقنيات الرقمية الإطار المادي للتفاعل بينما تحدد الممارسات الاجتماعية كيفية استخدام هذه الأدوات لبناء المعنى والعلاقات. على هذا النحو، يمكن اعتبار المجتمع السيبراني نظاماً اجتماعياً-تقنياً Sociotechnical System تتفاعل فيه العوامل البشرية والتكنولوجية بشكل ديناميكي لتوليد أنماط متغيرة من التنظيم الاجتماعي الرقمي¹³.

وقد أسهمت الخصائص والسمات المذكورة آنفاً في تميز التفاعلات الافتراضية ضمن هذه المجتمعات وكان أبرزها¹⁴: اللازمانية واللامكانية التي لا تخضع لحدود جغرافية أو زمنية، الحرية الاختيارية أي الدخول والخروج الطوعي واختيار المجتمعات، تعدد المراكز والتي تعني لا مركزية السلطة مع إمكانية تبادل الأدوار بين الأعضاء، إخفاء الهوية أو إمكانية استخدام هويات حقيقية أو مستعارة، وأخيراً التفكك والتمرد أي التحرر من الهويات التقليدية وفرص للتعبير خارج الأطر السلطوية.

بالرغم من التباينات الأساسية القائمة بين المجتمع السيبراني والمجتمع التقليدي إلا أن هناك نقاطاً مشتركة وتداخلات واضحة بين المجالين والتي تتمثل في: الممارسات التواصلية كالمحادثة والنقاش، وإن اختلفت الوسائل، التأثير المتبادل حيث يُشكّل الفضاء الافتراضي امتداداً للعلاقات الواقعية، الثقافة المشتركة وتبادل المعلومات والقيم عبر الحدود.

ثانياً: مظهرات الهوية المتغيرة: البنى المؤسّسة والتجليات في المجتمع السيبراني:

يُمثل التحوّل في مصادر تشكيل الهوية أحد العوامل الجوهرية الدافعة لإعادة صياغتها في السياق المعاصر. فالهوية، بطبيعتها الدينامية تتأثر بشكل مباشر بتغيّر مصادرها وهي عملية مستمرة من الانفتاح والاستيعاب والانفصال تمنحها سمة اللاتبات خصوصاً في ظل العولمة. فالمصادر الجديدة قد تُفضي إلى ترمد الفرد عن التطابق والتكرار مع المحلي اجتماعياً وسياسياً، دافعةً نحو التباعد عن التوحيد الميتافيزيقي. وعليه، فإن سيادة المصدر الكوني يستلزم بالضرورة إعادة تشكيل الهوية وفقاً لهذا السياق المتغير.

يؤكد إميل دوركهايم في عمله " التربية الأخلاقية " على الدور الحاسم للمجتمع في تشكيل الضمير الأخلاقي والهوية، حيث يصرح: " إن تكلم ضميرنا فإن المجتمع هو الذي يتكلم، وإن ضميرنا الأخلاقي يردد صوت المجتمع فينا "15. هذا يؤسس لفهم المجتمع - بمكوناته الاجتماعية والثقافية والسياسية - بوصفه المحدّد الأساسي لبناء الهوية. كما يُضيف مارك بلوك Marc Bloch ملاحظةً تاريخيةً بالغة الأهمية: " إن الرجال هم أبناء عصرهم أكثر من كونهم أبناء آبائهم ". هذه المقولة تكتسب مصداقية غير مسبوقة في العصر الحالي حيث يُظهر الأفراد قريباً فكرياً وقيماً وعملياً من معاصريهم يفوق قريهم من الأجيال السابقة¹⁶، على عكس الاعتماد التقليدي على الإرث العمودي. إذ يُصنّف التاريخ البشري العصور والمجتمعات وفقاً للتقانة* السائدة، من الحجري والبرونزي والحديدي والزراعي والصناعي، وصولاً إلى العصر التكنولوجي-السيبراني الحالي. في هذا الإطار يُصبح الأفراد "أبناء" عصرهم ومجتمعاتهم الافتراضية السيبرانية حيث تنتمي هوياتهم وتشكل رؤاهم للذات والعالم وفقاً لمنظومة القيم والمعارف السائدة في هذا الواقع الجديد. لقد أضحت المجتمع المعرفي التقاني القوة الدافعة للحضارة البشرية، وبالتالي المصدر الأساسي لتشكيل هويات الأفراد.

في هذا السياق يربط أنطوني غيدنز هوية الأفراد بسمات المجتمع المعاصر ومعارفه، مشيراً إلى أن العلاقة بين الحداثة والمعرفة الجديدة يمكنها أن تولد لدى الفرد "قلباً وجودياً" وحتى "حساً من اللامعنى. الشخصي". مما يدفع الأفراد نحو حاجة مستمرة لبناء ومراجعة هوياتهم الذاتية باعتبارها أساساً للأمان الشخصي والإحساس بالقيمة الذاتية.¹⁷

ويشير الدارسون إلى أن ظهور الإنترنت وتكنولوجيا الاتصال حوّل العالم السيبراني وشبكات التواصل إلى مجتمع موازٍ يشابه المجتمع التقليدي في وجود الأفراد والتفاعل بينهم وتقاسم الروابط والمشاعر. بل إن إغراءات هذا العالم جعلت الإقامة فيه أكثر جاذبية من المجتمعات المحلية للعديد من الأفراد، الذين صاروا يصنعون هوياتهم على أساس هذه المساحات الافتراضية. في هذا الفضاء، يُعرّف الفرد من خلال وسائط رقمية (حاسوب، هاتف محمول،

صورة رمزية، بريد إلكتروني، اسم مستعار)، مما جعل هذه الأجهزة مصدراً للهوية بديلاً عن المجتمع الفعلي في حالته الاتصالية.

وقد أسهمت حرية تدفق المعلومات في إزالة الحواجز بين الأنظمة السياسية مما حوّل الفضاء السيبراني والإنترنت إلى سوق عالمية للأفكار الديمقراطية. وقد ولّدت الطبيعة اللامركزية للشبكة وحرية الاختيار فيها ثقافةً مستقلة، إلى جانب توظيفها في الترويج للأجندات الدولية كحقوق الإنسان. وقد أثمر هذا الانفتاح عن ضغطٍ متزايد على المجتمعات المغلقة لتبني ثقافات جديدة مما دفع الأنظمة السياسية إلى الاستجابة لمطالب مواطنيها وذلك كله بفضل ما وفّره الفضاء الافتراضي من حرية في الحوار والتعبير عن الرأي.

وعليه لم تعد المجتمعات المعاصرة تكبح المطالب الاجتماعية فحسب بل تواجه أيضاً تصاعداً ملحوظاً في المطالب الثقافية. هذه المطالب تتخذ أشكالاً متنوعة، سواءً عبر التعبير الطائفي المحدود أو من خلال الدعوة إلى الفاعلية الفردية والمطالبة بالحقوق الثقافية. وبينما كان الخطاب السائد يركز سابقاً على الفواعل الاجتماعية والحركات الجماعية، فإنه يُولي اليوم اهتماماً متزايداً للفواعل الفردية والحركات الثقافية¹⁸.

ثالثاً: الهوية السيبرانية: إعادة تشكيل الهوية في العصر الرقمي:

في ظل التحول الرقمي المتسارع بات التواجد في المجتمع السيبراني حقيقة موازية - بل لا تقل أهمية - عن الوجود في المجتمع المادي، مما فرض إعادة تشكيل جذرية لمفهوم الهوية الفردية. وقد برزت "الهوية السيبرانية" ككيان افتراضي يعبر عن تمثيلات الأفراد في الفضاء الرقمي، سواء أكانت امتداداً طبيعياً للهوية التقليدية أم بناءً مستعاراً منفصلاً. تتجلى طبيعة هذه الهوية من خلال أبعاد متعددة¹⁹: فهي من منظور تفاعلي " شخصية منشأة من قبل المستخدم كوصل بين الذات الطبيعية والذات الافتراضية"، ومن زاوية سوسيو تقنية تُعرف كـ "كيان افتراضي آلي ذي حدود سيالية، يُمثل نتاج تفاعل ثلاثي الأطراف (الفرد - الهوية الافتراضية - المستخدمون الآخرون) عبر برمجيات متعددة"، بينما تُرى تمثيلاً كـ "مجموعة مدونات (نصوصية، رمزية، بيانية، سمعية-بصرية) يتبادلها المستخدمون لتقديم ذواتهم كفاعلين في المجتمع التواصلي الرقمي"²⁰. وتكمن ثنائية هذه الهوية في تجليها كـ "هوية معكوسة" تعكس الذات الحقيقية عند الإفصاح عن البيانات الواقعية، أو كـ "هوية مستعارة" تنفصل عن الواقع باستخدام مسميات وبيانات وهمية، مما يجعلها ظاهرة مركبة تتراوح بين التواء مع الهوية المادية والانفصال عنها في حيز التشكل الرقمي المستمر.

3-1 الأبعاد الاجتماعية والثقافية في تشكيل الهوية السيبرانية المعاصرة:

تُمثل الهوية السيبرانية نتاج التفاعل المعقد بين العوامل الاجتماعية والثقافية حيث يُتيح الفضاء الرقمي فضاءً تحريراً يتجاوز القيود المجتمعية، ويسمح بتمثيل هوياتي مرّن للأفراد المهمشين، وتمكينهم من مخاطبة الرأي العام والتعبير واكتساب أدوار اجتماعية غير متاحة في الواقع المادي.

في المقابل تواجه الهويات التقليدية إشكاليات جمود مكوناتها الأساسية، خاصة في المجالين الديني واللغوي. فالتجديد الديني لاسيما في خطاب المعاملات²¹، يواجه شللاً رغم النصوص الداعية إليه، بينما تعجز اللغة عن توليد مفاهيم تعبر عن المستجدات المعاصرة²²، مما يُضعف دورها كركن هوياتي جوهري. هذا العجز يفضي إلى تراجع جاذبية اللغات المحلية أمام هيمنة الإنجليزية، مُهدداً الهويات المحلية²³.

تتفاقم هذه الإشكالية بسبب إخفاق آليات التحديث الثقافي حيث عجزت المجتمعات عن استيعاب تحولات الثقافة الحديثة، في ظل فشل الأنظمة السياسية في بناء آليات تحديث فعالة. نتج عن ذلك ازدواجية ثقافية حادة بين الأجيال والمناطق، ومنع تجذر الثقافة الحديثة مع انقطاع استمرارية التقليدية، مُولِّدًا حالة من "اللامعيارية الثقافية"²⁴ (الأنوميا). ويُرجع هذا الضعف إلى اختلال البنية التحتية لإنتاج الثقافة عبر:

- تفكك الأسرة كوحدة ناقلة للتراث.
- تردي النظام التعليمي وعجزه عن إنتاج حداثة تربوية.
- تشوُّه الإعلام وفشله في تقديم مرجعية ثقافية في ظل الفضاءات المضادة²⁵.

3-2 سياقات تحول الهوية:

تشكّل تحولات الهوية من المحلي إلى العالمي إطارًا لتحليل التفاعل بين الهوية التقليدية والهوية السيريانية، حيث يُطرح سؤال جوهري حول طبيعة إعادة صياغة الذات: هل تتم في سياق الصراع الرفض. للتجديد سعيًا لحماية الموروث، أم في سياق التكامل القائم على مراجعة التراث والاندماج مع المعطيات العصرية؟ يفرض سياق الصراع - وفقًا للأدبيات - ديناميكية ثنائية: فتعميم النموذج الهوياتي الغربي عبر أدوات العولمة يُولّد ردود فعل مضادة تعزز التشبث بالخصوصيات الثقافية، ما قد يفضي إلى هويات متطرفة وتصادم هوياتي يستند إلى تشويه الآخر وفق رؤى مدرسة فرانكفورت النقدية. بالمقابل، ينبني سياق التكامل على الطبيعة الجدلية للهوية كما يرى دنيس كوش D Koch التي تتشكل عبر التماهي مع الآخر دون إلغاء التمايز، مستفيدًا من إمكانات "القرية العالمية" الرقمية في خلق حوار هوياتي²⁶. هنا يبرز تحدٍّ مركزي يتمثل في قدرة الفرد على الترميز المزدوج بين الواقعي والافتراضي، مع الحفاظ على مرجعياته القيمية دون انكفاء. الخلاصة تكمن في بناء هوية سيريانية هجينة تتكامل فيها الأبعاد المحلية مع متطلبات الفضاء الرقمي، عبر وعي نقدي يحول دون الذوبان أو التطرف، ويؤسس لضمير جمعي قادر على استيعاب رأس المال الثقافي الجديد مع الحفاظ على الجوهر الأخلاقي للهوية.

خاتمة:

- في ختام هذا البحث تم التوصل إلى مجموعة من الاستنتاجات التي تُجيب على تساؤلات الدراسة وتُثبت فرضياتها حول الهوية الفردية وإعادة تشكيلها في ظل المجتمع السيرياني وذلك على النحو التالي:
- **مصادر تشكيل الهوية:** تستمد الهوية الفردية دلالتها من الوعي الذاتي، والتطابق مع الذات والجماعة، والتميز عن الآخرين. وهي نتاج تفاعل عوامل التنشئة التاريخية، والجغرافية، والثقافية، والسياسية على المستويين الفردي والمجتمعي.
 - **ديناميكية الهوية ومرونتها:** تُعد الهوية كياناً سيالياً (ديناميكياً) قابلاً للتحويل والتغير عبر الزمن. وبالتالي، يمكن للفرد الانتماء إلى هويات متعددة (اجتماعية، سياسية، ثقافية) خلال مسيرة حياته، انطلاقاً من اختياراته الشخصية، وقناعاته، وظروفه التفاعلية الداخلية والخارجية.
 - **تعدد الأبعاد وغياب الثبات:** تمتلك الهويات أبعاداً متعددة غير ثابتة، حيث يميل الأفراد إلى الانجذاب نحو بُعدٍ معين دون الآخرين، لكن هذا الانجذاب لا يتسم بالدوام. كما تُعاد صياغة الهويات باستمرار وفقاً للمتغيرات البيئية، والنفسية، والاحتياجات الوظيفية.
 - **أثر العولمة والتقنية:** أسهمت العولمة الثقافية والديمقراطية، مدعومةً بأدوات التكنولوجيا الرقمية وانتشار الإنترنت ووسائل التواصل، في نشوء مجتمع سيرياني موازٍ للمجتمعات التقليدية. وفُرت هذه البيئة مساحات حرية وانفتاحاً على الآخر، مما عزز بناء علاقات وأنشطة فردية متحررة من التأثيرات المحلية التقليدية، وساهم في تشكيل هويات معولمة تتقبل التنوع الثقافي والتناقضات في إطار واحد.
 - **المجتمع السيرياني: بيئة هوياتية متناقضة:** يشكّل الفضاء السيرياني بيئة خصبة لتحولات هوياتية متباينة، بين تغييب الهوية أو التمسك بها (طبيعياً أو متطرفاً)، مع إلغاء الحضور المادي والسمات الظاهرية للفرد.
 - **سمات الهوية المعاصرة:** نتج عن هذه التحولات هوية عالمية الطابع، ديناميكية، حرة، ومرنة، تتجاوز الحدود الوطنية. إلا أنها تظل هويةً هلامية غير مستقرة، تعكس قلقاً الوجود في العصر الرقمي.
 - **التنازع الهوياتي الثنائي:** يعيش الفرد في صراع بين هويتين: هوية تقليدية محكومة بأطر اجتماعية، سياسية، وثقافية محلية، وهوية سيريانية عالمية منظمة بقوانين رقمية عابرة للحدود. ويتخذ الأفراد مواقف متباينة إزاء هذا الثنائي: رفض الكل أو تبني الجديد كلياً، أو التكامل الانتقائي بين الموروث والمعاصر.
 - **إعادة الصياغة كضرورة وجودية:** مع التحول النوعي في أنماط الحياة والتفكير، تصبح إعادة تشكيل الهوية شرطاً للديمومة، خاصة لدى الأجيال الجديدة التي تجمع بين الانتماء المحلي والارتباط بالعالم الخارجي.

الهوامش:

* في مؤلفات الخيال العلمي يُستخدم مصطلح السيريانية أو السايبرية بالإنجليزية Cybernetics للدلالة على مفهوم القيادة أو السيطرة على الأنظمة المختلفة. يعود أصل هذه الكلمة إلى اللغة اليونانية، وفقاً للمراجع العلمية فإن عالم الرياضيات نوربرت وينر Norbert Wiener كان أول من استخدم هذا المصطلح بشكل منهجي

في عام 1948 خلال دراساته حول أنظمة التحكم والاتصال في الكائنات الحية والآلات، كما ورد في مؤلفه الشهير *Cybernetics: Or Control and Communication in the Animal and the Machine* الإصدار الثاني، مطبعة معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، وفي عام 1960 طوّر الباحثان مانفريد كلايتس وناثان كلاين Manfred Klaitz & Nathan Klain المفهوم بشكل أوسع حيث استخدموا مصطلح "الكائن السيبراني" في أبحاثهم. أما في السياق العربي فقد اعتمدت الوثائق الصادرة عن الأمم المتحدة مصطلح السيبرانية كترجمة رسمية للمصطلح الإنجليزي (Cyber)، كما هو وارد في وثيقة فيينا 2013 الصادرة عن مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة UNODC، وللمزيد من التفاصيل حول التطور التاريخي والمفاهيمي للسيبرانية يمكن الرجوع إلى كتاب **محمود البري السيبرنيطيقا** سلسلة مصطلحات معاصرة، العدد 21، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، 2019.

* **التقانة**: تُشكّل الوسط المحيط الذي تتحرّك ضمنه المجتمعات المعاصرة، وهي تمتلك قوةً مهيمنةً في صياغة القيم التي تُؤسّس للأفكار والممارسات الاجتماعية. فكما يؤكّد فيبر بيجكر (Wiebe E. Bijker) صاحب نظرية البناء الاجتماعي للتقانة SCOT Social Construction of Technology فإننا نعيش في "ثقافة تقانية" تتشكّل مقوّماتها بشكلٍ جوهريّ تحت تأثير العلم والتقانة الحديثين.

Bijker, W. E. (2002). Intellectuals as a space for STS contribution to NSF ورقة بحثية مقدمة في ورشة عمل. معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا (MIT)، 16 مارس.

قائمة المراجع

- ¹ ميشللي، أليكس . *الهوية* (ترجمة علي وصفة). دار البريسم للخدمات الطباعة. (الإصدار الثاني) ، سوريا، 1993، ص 7.
- ² هنتنغتون، صموئيل . *من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية* (ترجمة حسام الدين حضوره) . دار الرأي للنشر. نُقل عن النسخة الأصلية، دمشق، 2005 ، ص 37.
- ³ Compact Oxford English Dictionary of Current English (3rd ed.). Oxford University Press. 2003,p873.
- ⁴ تايلر، ت . *المتخيلات الاجتماعية الحديثة* (أ. النبهان، مترجم). المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.، الدوحة/بيروت، 2015، ص 23-24.
- ⁵ صموئيل هنتنغتون، المرجع السابق، ص 37.
- ⁶ حليم بركات، *المجتمع العربي في القرن العشرين - بحث في تغيير الأحوال والعلاقات*، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000، ص 62.
- ⁷ باديس لونيس، *الهوية المحلية والهوية الافتراضية في ظل الإعلام الجديد - حدود التلاقي والتلاقي*، مجلة دراسات وأبحاث، م 7، ع 19، جامعة باتنة، الجزائر، 2015، ص 36.
- ⁸ علي عباس مراد، *مشكلات إعادة بناء الدولة في البلدان العربية حالة العراق - 2003، 2018 ط 2*، دار القناديل للنشر والتوزيع، بغداد، 2019، ص 39-40.
- ⁹ نفس المرجع، ص 32.
- ¹⁰ صموئيل هنتنغتون، المرجع السابق، ص 36.
- ¹¹ علي عباس مراد، مرجع سابق، ص 39-40.
- ¹² عبد الحسين شعبان، *الهوية والمواطنة - البدائل الملتبسة والحداثة المتغيرة*، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2022، ص 23.
- ¹³ M.Castells, Materials for an Exploratory, Theory of the Network Society, British journal of sociology ,vol.51,no.1, January-March,2000,p5-8.
- ¹⁴ وليد زكي رشاد، *المجتمع الافتراضي نحو مقاربة للمفهوم*، مجلة الديمقراطية، م 9، ع 34، وكالة الأهرام، مصر، كانون الأول، 2017، ص 97-104.
- ¹⁵ إميل دوركهايم، *التربية الأخلاقية*، ترجمة : محمد بدوي، دار مصر للطباعة، بدون تأريخ نشر، ص 88-87.
- ¹⁶ أمين معلوف، *الهويات القاتلة - قراءات في الانتماء والعولمة*، ترجمة : د. نبيل محسن، ورد للطباعة والنشر، دمشق، 1999، ص 91.
- ¹⁷ Anthony Giddenes, **Amoderntiy and self identity**, polity prees, cambridge, 1991, p29.
- ¹⁸ آلان تورين، *براديغما الجديدة لفهم عالم اليوم*، ترجمة: جورج سلمان، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2011، ص 25.
- ¹⁹ محمد علي رحومة، *علم الاجتماع الآلي - مقارنة في علم الاجتماع العربي والاتصال عبر الحاسوب*، مجلة عالم المعرفة، ع 347، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2008 الكويت، ص 23.
- ²⁰ ليندا العابد، *الهوية الرقمية والمواطن الافتراضي في الفضاء السيرياني*، مجلة العلوم الاجتماعية، ع 5، المركز الديمقراطي العربي، ألمانيا-برلين، آب، 2018، ص 199.
- ²¹ islamqa.info.//https بتاريخ 2025/04/29.
- ²² محمد شمدين، *الهويات الافتراضية في المجتمعات العربية - أي دور لمواقع التواصل الاجتماعي في تشكيل الهوية*، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، الدوحة، 2018، ص 6-10.
- ²³ علي ليلة، *الأمن القومي العربي في عصر العولمة - إختراق ثقافة وتبديد الهوية*، الكتاب الأول، مكتبة الأجلو المصرية، القاهرة، 2021، ص 235.
- ²⁴ الأنوميا الثقافية: ظاهرة تُعَبّر عن اغتراب قيمي ناتج عن انحلال الإطار المعياري الجامع للمجتمع. (Alaany.com, 2024) بتاريخ 2025/05/08 على الموقع الإلكتروني: [https:// www.alaany.com](https://www.alaany.com)
- ²⁵ علي ليلة، مرجع سابق، ص 265.
- ²⁶ باديس لونيس، مرجع سابق ، ص 39.